علاقة الكاتب الشاب بنصه ونص من سبقوه

بين صنمية الأسماء المكرسة وأفق التحولات الجديدة

يبدو أنّ الكاتب العُماني والشاب تحديدا، ولد في ظروف أفضل من سابقيه، حيث تقلصت إلى حد ما كذبة الجغرافيا المعزولة، وبات الأدب والفن غير محجوبين عنه ضمن القرية الكونية المُتاحة، بينما من سبقه من كُتاب كانوا يعجزون عن توفير كتب يحبونها أو كتب تضيف لهم شيئا ذا أهمية.

استطلاع: هدى حمد

ولكن ورغم تلك السهولة التي نظنها، من الملاحظ أن الكاتب الشاب يبدأ مع نصه بعلاقة أقرب ما تبدو إلى القداسة، غير القابلة للمساس كما يتبدى من أجواء المهرجانات والملتقيات الأدبية، رغم افتراضنا معرفته لتجربة من كتبوا قبله –على مدى تاريخ الكتابة–، نعني معرفته بذلك العمق الذي لا يتحصل منذ البدايات الأولى.

وهو من جهة أخرى –أي الكاتب الشاب– يقع تحت تأثير الكثير من الكلمات الفضفاضة في وسائل التواصل الاجتماعي من قبيل رائع مدهش.. أذهلتنا.. الخ ، ولذا يحترق البعض سريعا، فلا تعود فراشته قادرة على التحليق أو التطور حتى .

وعلى صعيد آخر يبدأ الكاتب الشاب أحيانا مشواره ناقما بعض الشيء على ما كتبه من قبله، وهذا ليس سيئا بالتأكيد، خصوصا لو كان محرضا على كتابة أخرى جديدة، تبدأ بتكسير صنمية الأسماء المُكرسة، لفتح أفق الكتابة على تحولات جديدة.

نحاول عبر هذا الاستطلاع ، استقراء وجهة نظر الشباب حول شقين أساسيين، (علاقة الكاتب الشاب بنصه من جهة، وعلاقة الكاتب الشاب بنصوص من سبقوه)؟

في دوائر الممتدحين

تشعر الكاتبة والقاصة سارة الهوتية أنّ علاقة الكاتب الشاب بنصه تكون قوية جدا في بداياته، حيث يشعرُ الكاتب بأن النصوص هي جزء لا يتجزأ منه ونقدها أو تناولها بشكل سلبي يعني نقده شخصيا. ويؤثر هذا الارتباط الوثيق بالنص سلبا على الكاتب من خلال رفضه الاستماع لآراء الآخرين أو التشكيك في نوايا المشيرين إلى جوانب النقص في نصوصه مما يحرمه من التعلم والاستفادة. كما أنّ المجاملات في قنوات التواصل الاجتماعي ورأي المقربين من الكاتب تجعله يصدق بأن

أمل السعيدي:

أحاكم نفسي بقسوة عندما أقدمُ للعالم نصا مشوهًا لا يُشبه ما رغبت فيه.

نصه مدهش، ورائع، ولا يتكرر، لذلك يتفاجأ حين يشير أحد إلى ضعف نصوصه وضرورة مراجعتها، وقد يهزّ ذلك ثقته في نفسه فيبتعد عن الكتابة أو يحصر نشرها في دائرة الأصدقاء والممتدحين. أعتقد أن الكثير من الكتاب مروا بهذه المرحلة في بداياتهم حيث كان النقد يزعجهم. ولكن كلما قرأ الكاتب الشاب أكثر أدرك بأن نصوصه لم تصل للمستوى المطلوب بعد ولذلك يصبح عدد النصوص التي يتخلص منها أكثر من تلك التي ينشرها.

الاعتداد وأوجه القصور:

بينما تؤمن الشاعرة والقاصة فاطمة إحسان اللواتية، بوجود نمطين أساسيين تتمثل فيهما علاقة الكاتب بنصه، الأول اعتداد الكاتب بنصّه، وشعوره بأنّه مُنجَز فريد يخصّه هو بالدرجة الأولى، والثاني شعور الكاتب بقصور نصّه، وقابليته للتعديل والتطور، ولعلّ علاقة أغلب الكتّاب بنصوصهم هي مزيجٌ من النمطين آنفي الذكر، حيث أن اعتداد الكاتب بنصّه هو ما يحثّه على نشره في الغالب، بينما إدراكه لأوجه القصور في نصّه هو ما يجعله أكثر انفتاحًا على النقد والملاحظات البناءة.

العرض والطلب:

من جهة أخرى يظن الكاتب ناصر الكندي أنّ المشكلة تكمن في الآلية المتبعة في تقييم النصوص الأدبية، فالكاتب يريد أن تبدأ انطلاقته من خلال مسابقة معينة تضع حدًا لمسيرته سواء بالرضا عليه أو رفضه، في حين أنّ المقيّم الحقيقي للنص هو الجمهور. فالجمهور هو من يُكتب له، وهو الذي يجعل من العمل الأدبي ناجحا أم لا، خاصة في هذا الزمن الذي زالت فيه كل الحواجز بين النخبة الارستقراطية التي كانت جمهور الكتاب سابقا، والجمهور العريض الذي يضع النص تحت رحمة السوق: العرض والطلب.

ظلال الشك واليقين:

يقترب الشاعر والقاص أحمد الكلباني في بداية حديثه من ذاته قائلا، قبل أن أتحدث عن علاقتي بنصي يجب أن نعرف ماذا تمثل الكتابة بالنسبة لي، والتي هي بمثابة التطور و النمو، بمعنى أنّ اللحظة التي أكتب فيها، تعني لي فيضا من المعنى، وبالتالي نموا في الكينونة واتساعا في الوجود، وتناسلا في الإدراك والوعي، قد يكون هذا غير مفهوم، ولكن إن ضربنا بالشجرة مثالا سيكون الأمر سهلا بعض الشيء، حيث تمتد في الاتجاهات لأنّها تنمو وتتطور وتفعل ذلك لأنه حريٌّ بها، ولأنها ما جُبلت عليه!، لكن ذلك لا يحدث إلا بالتناسل في ظلال الشك واليقين، ليس تماما كما يظن ديكارت ولكن بالتفكير الدقيق والذكي

الكتابة ليست اختبار:

لا تبدو الكتابة بالنسبة للقاصة والكاتبة أمل السعيديه، اختباراً للنجاح أو الفشل، من هنا يصبح للآخر(القارئ) دور بعيد كل البعد عن تلك المساحة الطرية داخلها والتي دفعتها لكتابة ما كتبته، إن أي رد فعل على النص هو حالة أخرى لا تخصني أنا، لذا لا أشعر أنني مسؤولة عن الدفاع عنها أو رفضها. وإن كانت الملاحظة تتعلق بطبيعة التواصل مع النص، فإن هذا يدفعني لمحاكمة نفسي بقسوة، لأنني خلقت شيئًا مشوهًا لا يُشبه ما رغبت في تقديمه لهذا العالم. لذا فإن الأمر كله متعلق بي أنا ككاتبة لا بالقارئ. ومعياري الذي استخدمه للتأكد من جدارة أي نقد يوجه لنص من نصوصي هو ما اقرأ من كتب من مختلف أنحاء العالم، وأحيانًا كثيرة أعتمد على شخصية من يوجه النقد لنصي، فإن كنتُ مؤمنة به كقارئ أولاً وككاتب ثانيًا، لأنني قريبة من عمله الثقافي آخذ ملاحظاته على محمل الجد.

أحمد الكلباني:

أومنُ أنّ ما أفقده لا يفنى تماما كما يحدثُ لشجرة يُقطع غُصنها.

الكتابة توازي الحياة:

ويتابع أحمد الكلباني قائلا: يبدو أن جزءا من علاقتي بالكتابة أصبح واضحا، ولكنني في الجانب الآخر بقدر ما أصف الكتابة أنّها نمو في وجودي، فلن أتورع في أن أبتر جزءًا مني وبأريحية تامة لأنني أومن ببساطة أنا ما أفقده لا يفنى تماما كما يحدثُ للشجرة وأوراقها، تأخذها الأرض والوقت ثم يعود بطريقة ما للشجرة وبشكل أفضل. ويحدث أن تشعر أمل السعيدية عندما تتوقف عن الكتابة، تشعرُ أن كل شيء من حولها يصبحُ عدميًا على نحو ما، إنني أصر على أن أولد من جديد في كل مرة أكتب فيها، وأراقبُ نفسي وأنا على قيد الحياة، أنفعل من خلال الكلمات، وأركض رغمًا، عن سأمي.

السقوط في فخ المنافسة:

من وجهة نظر ناصر الكندي، المسابقات الأدبية تشجّع على الكسل أكثر من المثابرة؛ لأنها ، ببساطة ، تقصّر المسافة إلى الظهور من خلال لجنة تحكيمية يطلب إقناعها والتي في النهاية قد لا تمثّل الجمهور في شيء. في حين أن العمل الأدبي هو بذل الجهد من قبل الكاتب لكي يقرّب المسافة بينه وبين الجمهور القارئ حتى يصبح ملاذا لهم ولذائقتهم. ولهذا ترى الكاتب الشاب يسقط في فخ المنافسة، وينسى جودة عمله الأدبي الذي

سارة الهوتية:

أتعجب ممن ينشرون قبل أن تنضج تجربتهم ثم يخفتون بسرعة

يتطلب منه تخفيف حدّة الذات لديه بدلا من تشويهها من خلال منافسة عابرة، و كان ينبغي عليه أن يهتم بالمنافسة الكبرى التي هي مع ذائقة الجمهور، والتي تتطلّب عملا دؤوبا وخيالا خصبا وتأملا عميقا ونكرانا للذات لصالح الشخصيات التي يكتب عنها. فالجمهور يبحث عن ذات الراوي وليس ذات المؤلف.

نرجسية الكاتب الشاب:

تجد فاطمة إحسان أنّ الإشكالية تحدث حين يتطرف الكاتب في الانحياز إلى العلاقة التي تُقدس النص دون سقف لهذا التمجيد، وهي إشكالية ليست بالحديثة وإن كانت قد برزت إلى السّطح أخيرًا، في حين أن الأسباب كثيرة. لعل أهمّها أسباب ذات علاقة بسيكولوجية الكاتب نفسه، أعني أن اعتداد الكاتب المبالغ فيه بنصّه، كثيراً ما يكون عرضًا لنرجسية تتعلق بشؤون كثيرة في حياته، وليست مقصورة على الكتابة وحدها، ثم تأتي الأسباب المتعلقة بالبيئة المحيطة كمكمل للسبب السيكولوجي، وهي الأسباب التي أدت إلى تفاقم نرجسية كثير من الكتّاب الشباب على وجه الخصوص، كالتساهل المطّرد من قبل دور النشر في نشر إصدارات تفتقر لأدنى معايير الذوق والفن، لم يعد الكاتب الشاب يجد غضاضة في نشر كتاب لا علاقة له بالأدب تحت مسمّى رواية أو مجموعة شعرية مثلا، حيث إن آلاف سيتوقون لاقتناء الكتاب في أقل الاحتمالات، من منطلق الرغبة في قراءة كتب عاطفية غالبًا، سهلة، لا تكلف قارئها أي جهد، ولا تحرّك ساكنًا في قناعاته المتبناة سلفًا.

الكتابة لا تحتمل التنافس:

ترثي أمل السعيدية أحياناً لطبيعة علاقات الكتاب ببعضهم، والمجاملات التي يقدمونها لبعضهم وتعتبرها خرقًا لميثاق الكتابة الأصيلة ليس إلا، لكن هذا كله يحدث بمعزل عن من يكتبون. ليس لدى السعيدية أسماء مُقدسة على الإطلاق سواء من الكتاب في السلطنة أو خارجها، تقول: أحب قراءة كل كتابة تخترقني وتتقاطع مع ما أعيشه، وتحترم ذكائي وأشعر أن الكاتب اشتغل على حياكة كل شبر صغير فيها، وتشير إلى أن مشروعها في الكتابة لا علاقة له بمحاولة تجاوز من سبقها، لأن الكتابة لا تحتمل أن تكون محاولة للتمايز ولا هي محل منافسة، إنها ببساطة رغبة في تكريس أدوات في غاية الحساسية لرصد تجربة ما، كما أننا جميعًا نشترك في التجارب التي نحياها، إلا أن الكاتب يريد أن يُقدم هذه التجربة بأقصى انتباهة شعرية لها. أنه أمر خاص وحميم إلى درجة لا تدخل فيها هذه الحسابات كلها.

وتضيف فاطمة إحسان: من الصعب أن تلوم كاتباً على عدم تقبله للنقد، فهو يرى أن كتبه رائجة ومقبولة، والأصعب أن تلوم كاتبًا آخر يحتذي بالأول، ويجد من يُمجد موهبته بافتتان على شبكات التواصل الاجتماعي.

الأدب ميدان الأقوياء

ولقد وصف الروائي الفرنسي أميل زولا، في إحد مقالاته ، هؤلاء الكتّاب الناقمين بالضعفاء والكسالى، وهذا ما يميل ناصر الكندي لتأكيده أيضا: أميل زولا يقول إن الأدب ميدان الأقوياء الذين يُواصلون الكتابة دون كلل، ويبذلون جهدهم في خلق نص بديع وجميل دون الاكتراث لإهمالهم من قبل النقّاد أو المحرّرين خاصة في تلك السن المبكّرة من حياتهم. وعلى الرغم من ذلك، كانت النصوص في زمن زولا مرهونة بموافقة المحرّر على ظهورها. أما الآن، فالنص يشق طريقه دون رقابة تذكر في وسائل التواصل الاجتماعي، ويواجه الكاتب بنصه الجمهور مباشرة، والذي لن يبخل عليه بالخلود إذا

فاطمة إحسان:

جيلنا يُتهم بالغرور عندما يشيرُ لعدم استفادته من كتابات من سبقونا محليا

أعجبه وبإهماله إن لم يستسغه. والكاتب له الحق أيضا أن يختار جمهورا خارج الحدود إن شعر بتدنّي ذائقة الجمهور المحلي، فالنص ليس حكرا لجنسية معينة بل للإنسان أينما يكون. والتاريخ لن يظلم أي نص يستحق الخلود، فمقالة الفرنسي لابواتييه العبودية المختارة نشرت كاملة بعد ثلاثة قرون من كتابتها.

القبض على المعنى أو الإخفاق:

وعن علاقة جيل فاطمة إحسان، بجيل من سبقوها في السبعينات وأوائل الثمانينات، تقول: هنالك علاقة منفصلة بين أبناء جيلي بمن سبقوهم من الكتّاب، على الصعيد المحلي تحديداً. وتتابع قائلة: إذا قلتُ –ككاتبة شابة– بأنني لم أستفد كثيراً من تجارب كتّاب الأجيال السابقة من الكتاب المحليين، سأتهم بالغرور فوراً، وهذا ما يحدث حين يوجه نقدٌ ما من أبناء جيلي إلى أبناء الجيل السابق، لكن المسألة مختلفة ببساطة. لعلّ وجود مكتبة غنية في البيت، وولوج عالم الكتابة بعيداً عن الجماعات الأدبية المحلية، وفر لي ولسواي فرصة التعرف والتعلّم من تجارب عربية وعالمية دون الحاجة إلى تركيز خاص على الكتابات المحلّية، بالتالي أتعجب كثيراً حين يتحدث كتّاب الجيل السابق بلهجة مستاءة من عدم تقدير الكتّاب الشباب لتجاربهم وعدم

مرورهم عليها، كما فعلوا هم مع من سبقهم، فليس شرطاً أن تكون المسألة على هذا النحو من التبسيط، لعل الأوان قد حان للنظر للتجارب الأدبية والفنية كتجارب فردية، تحاكم بصورة منفصلة عن بعضها لاسيما إذا أظهرت تمايزًا نوعيًا عن سياق التجارب الأخرى.

أما فيما يتعلق بعلاقة أمل السعيدي مع الكتاب الذين سبقوها للكتابة، فتجد أنّها لا تحمل موقفًا معينًا منهم، ولا يعنيها هذا الأمر حتى إنّها لا تفكر فيه أبداً، الكتابة بالنسبة لي هاجس يتجاوز هذا كله، اقرأ ما يعجبني والذي لا يعجبني من محاولة قراءته أتركه فورًا، في العالم الكثير من الكُتاب الذين يحاولون جاهدين أن يقبضوا على معنى الأشياء وإن أخفق أحدهم في فعلها فذلك شأن مشروع وجوده، وهو أمر لست مشغولة به على الإطلاق.

بين تمجيد وترفع:

وترى سارة الهوتية علاقة الكاتب العماني الشاب بنصوص من سبقوه في السلطنة هي علاقة غير واضحة حتى الآن، ويرجع ذلك لسببين أولا: هناك بعض الكتاب الشباب يمجدون فلانا من الكتاب وذلك بناء على علاقة شخصية قائمة بين الطرفين سواء أكانت عبر قنوات التواصل الاجتماعي أو في الواقع من خلال الأمسيات ومعارض الكتب. حيث يحتفي بكل ما يكتبه فلان ويُعيد نشر نصوصه ويستخدم أسلوبه في الكتابة كمقياس حين يناقش نصوص زملائه وشيئا فشيئا يُصبح هذا الكاتب الشاب نسخة مشوهة ممن سبقه. وفي جهة أخرى نجد الكاتب الشاب الثائر على النصوص العمانية المترفع عن قراءتها والمتخصص في إصدار الأحكام العامّة مثل الأقلام العمانية لا تقدم الجديد وغيرها من العبارات التي تستنقص من قدر النصوص، ومن المؤسف اكتشافي بأن هذا الكاتب الشاب لم يقرأ إلا لعدد قليل جدا من المؤلفين العُمانيين ولأسماء معينة، وقد ينبع هذا الرأي من عدم تمكن الكاتب الشاب من إبراز اسمه في الوسط الثقافي العُماني الذي يتسع كل يوم.

النشر قبل النضج:

الجميل يفرض نفسه، هكذا يؤكد ناصر الكندي، ويتابع قائلا، هذه الحقيقة المُسلّم بها تقطعُ شك الكاتب الحقيقي الذي لن يلقي اللوم على غيره في عدم نجاحه، بل يلقي اللوم على نفسه لأنه فشل في إدهاش القارئ وجذب اهتمامه إلى نصه، فالمسؤولية الكلية تلقى على عاتق الكاتب في نجاحه أو إخفاقه. ولن تفيد الكاتب نقمته على خصومه، بل ينبغي أن ينقم على النص لأنه رديء لا تتجاوز دهشته سواه.

وتؤكد سارة الهوتية: لن ينظر الكاتب الشاب لنصوصه بعين الشك إلا بعد الاطلاع والقراءة المكثفة حيث يكتشف أساليب الكتابة المختلفة بالإضافة إلى عمق اللغة وتعدد مفرداتها. وأتعجبُ من بعض الكتاب الشباب الذين يتسرعون في إصدار الكتب رغم ضعف مضمونها وأسلوب الكتابة حيث يتضح لك عند قراءتها تعجل الكاتب وعدم نضجه فكريا وهذا من وجهة نظري سبب ظهور بعض الأسماء ثم اختفائها.

العقل التفكيكي:

تجد سارة الهوتية من الأهمية بمكان أن يدرك الكاتب الشاب أنّه يتعلم من كل ما يقرأه بغض النظر عن اسم كاتب النص أو جنسيته، وتضيف قائلة: كما أنّ معارض الكتب وصفحات الانترنت والمواقع الإلكترونية

لشراء الكتب هي أبواب لدخول عوالم ثقافية متعددة واكتشاف أسماء جديدة.

لا ينقم أحمد الكلباني على أحد، فهو في حالة نمو كنمو كشجرة، هذا ما يجدر به أن يحدث أصلا، ويتابع قائلا: ولكنني أعتني جدا بالنقد التفكيكي ودائما ما أستغرق في تقطيع كتابات الآخرين للحد الذي لا أستمتع فيه بأحد، يحدث مثلا أن أنظر، فأجد أنّ هذه الجملة مكونة من كلمتين، وتلك من ١١ كلمة وبعدها جملة متوسطة إذا كانت هناك جملة موسيقية في العمق – وهذا مثال سطحيّ – ثم بعد معالجة نصوص الغير أملكُ عادة سيئة، لا أستطيع إلا تذكر التقنيات أو الطعم والرائحة كما يحلو لي، فمتى ما وجدتُ طعاما جيدا للنمو أقوم بالتهامه، ومتى ما شعرتُ بأنّه لن يمنحني فرق الزمن في التطور والنمو فلن يعنيني بشيء!.

يذهب أحمد الكلباني إلى النص أيا كان، يُحدقُ فيه، دون النظر إليه إن كان مبتذلا أو عظيما، وحينما أقول ألتهم بالطبع لن أقطع غصني، لألصق مكانه غصن غيري! – حينما نتذكر الشجرة – والفيصل في كل هذا المعني، وإن كان الأمر يبدو بطيئا كثيرا، ولكن في النهاية ستكون تلك الشجرة شيئا أكثر من كتابة.